المحاضرة الثانية: النظرية النقدية الأسس النظرية

مدخل عام

تنتمي النظرية النقدية إلى الفكر الماركسي وهي تمثل مدخلا يطلق عليه المدخل الثقافي، وتستمد أفكارها من مدرسة فرانكفورت، ، وكانت المدرسة قد بدأت نشاطها في جمهورية ألمانيا وهاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب تولي النازي الحكم في ألمانيا، وترى المدرسة أن الثقافة الجماهيرية ذات الطابع التجاري كانت الوسيلة الأساسية التي مكنت الاحتكارات الرأسمالية من تحقيق النجاح في هذا المجال وتتكون آراء هذه المدرسة من العديد من المداخل والنظريات النقدية: مثل نظرية الاقتصاد السياسي، ونظرية الهيمنة، والمدخل الاجتماعي والثقافي وهو مدخل يتزايد تأثيره حاليا في دراسة وسائل الإعلام. [1]

1. **مفهوم النظرية النقدية:** يقصد بالنظرية النقدية تلك النظرية التي ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للواقعية الساذجة المباشرة، فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي ونقد الاقتصاد السياسي والنقد الجدلي، وتهدف هذه النظرية إلى إقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر والمنطلقات كالاستعانة بالماركسية والتحليل النفسي، والاعتماد على البحوث التجريبية، وبتعبير آخر فالنظرية النقدية هي تجاوز للنظرية **الكانطية** والمثالية **الهيجلية والحدلية الماركسة**، فهي ترى أن نقد متناقضات المجتمع ليس أمرا سلبيا بل هو فعل إيجابي من منظور مدرسة فرانكفورت، ويرتبط مفهوم النقدية بعنوان كتب **هوركهايمر** النظرية التقليدية والنظرية النقدية الذي ألفه عام 1937، وقد جمع فيه صاحبه مجمل التصورات التي عُرِف بها أصحاب مدرسة فرانكفورت سواء النظرية منها أو التطبيقية. [2]
2. **مفهوم مدرسة فرانكفورت:** لقد تأسس المشروع الفلسفي لمدرسة فرانكفورت سنة 1923 على أنقاض معهد البحوث الاجتماعية والذي تولى تسيير شؤونه في البداية أرثوذكسي متشدد للفكر الماركسي وهو نمساوي الأصل **"كارل كرنبرغ"** وفي عام 1930 تولى "ماكس هوركهايمر" زمام الأمور، وهي حركة مؤثثة في الماركسية المعاصرة حيث كانت تعتمد في المقام الأول على أعمال "ماركس" ولكن هي مدينة ل"فرويد" و "ماكس فيبر" فكريا.

وتسمى بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت والتي ترجع نظرتها الفلسفية للمرجعيات الكبرى(**الكانطية، الهيجلية، الماركسية، الفرويدية**) وأهم ما يميز هذه المدرسة أنها اتخذت النقد منهجا لها، وحاولت القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية قصد. إعادة النظر في أسسها ونتائجها في ضوء التحولات الأساسية الكبرى التي أفرزتها الحداثة

---

[1] جمال محمد أبو شنب: **نظريات الاتصال والإعلام: المفاهيم المداخل النظرية**، القضايا، دار المعرفة الجامعية للنشر، جمهورية مصر العربية، 2013، ص 64.

[2] نجم العيساوي: **النظرية النقدية ومدرسة فرانكفورت الإعلامية**، نشر في موقع https://najmaleessawi.blogspot.com يوم 2016/07/22، تم الإطلاع يوم 2023/09/17.

الغربية، وخاصة منذ الأنوار، كما أنها لعبت دورا في رصد مختلف الأعراض الباثولوجية(المرضية) التي عرفتها المجتمعات الغربية المعاصرة كالاغتراب وضياع مكانة الفرد وأزمة المعنى وغيرها.[1]

3. مدرسة فرانكفورت: النشأة والمصطلح

بالنسبة لمصطلح **فرانكفورت** فهو مصطلح غير رسمي يستخدم للتعبير عن المفكرين الذين انتسبوا لمعهد البحث الاجتماعي أو الذين تأثروا به، وهو لم يكن عنوانا لأي مؤسسة

قامت النظرية النقدية على إرث فلسفي قديم يقوم على التشكيك في الواقع، و كان أبرز رواد هذا الإرث سقراط من خلال تشكيكه في المعتقدات السائدة، حيث أخضع اعتقادات راسخة لفترة طويلة للتدقيق العقلاني، و أعمل فكره في مسائل تتجاوز النظام القائم، و قد ظهر هذا الاتجاه الفلسفي الجديد في الفترة ما بين الحربين العالميتين، و قد شن ممثليها حربا على الاستغلال و القمع و والاغتراب التي تنطوي عليها الحضارة الغربية.

ترتبط النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أوثق ارتباطا بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي الذي أسس عام 1923 من طرف نخبة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد والنفس والنقد الأدبي والجمالي المنحدرين من أصول يهودية، وقد حددوا وضعه وهدفه منذ البداية بحيث يكون معدا حرا غير مقيد بالنظم الجامعية والأكاديمية، يتفرغ لبحث مشكلات الاشتراكية والماركسية والعنصرية وحركة العمال، مع الاعتماد بصورة عامة المنهج الماركس في التحليل النقدي الاجتماعي، وقد كان من بين أعضائه في العشرينيات والثلاثينيات عدد من الأعلام الذين ذاعت شهرتهم بعد ذلك في الحياة الفكرية والأدبية، وقد بلغت هذه المدرسة ذروة تأثيرها على الحياة الفلسفية والعقلية وعلى تفكير الرأي العام المثقف في أوروبا وألمانيا الغربية في النصف الثاني من عقد السبعينات عندما تبنت حركة الطلاب المعروفة بعض أفكار النظرية النقدية وأدمجتها في أيديولوجيتها اليسارية الجديدة الرافضة لكل أشكال السلطة والتسلط، وقد تأثر رواد هذه الحركة الثورية بأفكار **ماركوز** على وجه الخصوص، كما راجت آراؤه النقدية للمجتمع الرأسمالي الصناعي في أعقاب مظاهرات الاحتجاج على التمييز العنصري واضطهاد الأقليات وحرب الفيتنام التي هزت الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية مما ساعد على انتشار النظرية النقدية على الأقل في أوساط المثقفين والطلاب المتمردين.[2]

تمثل مدرسة فرانكفورت بأقطابها المختلفة وخصوبة عطاءاتها نموذجا حيا للفكر النقدي الجدي الذي لا يرحم ولا يخشى نتائجه الخاصة، ولا يضيع وقته في صنع قوالب جاهزة وتقديم وصفات ذات مدى بعيد، ويعود الفضل لأقطابها في ترسيخ

---

[1] ابراهيم يحياوي: **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت الإعلامية، نشأتها، روادها، خصائصها ومنطلقاتها الفكرية**، مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، المجلد08، العدد01، 2022، ص 175.

[2] عبد الغفار مكاوي: **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تمهيد وتعقيب**، مؤسسة هنداوي سي آي سي للنشر، ص 18.

وإناء فكر طبيعي داخل سياق اجتماعي تاريخي تسوده البراغماتية والعقلانية الرأسمالية، رأس مالها الاستقلال عن كل سلطة سياسية وحافزا نقد الحياة الاجتماعية في عينتها التاريخية وإعادة تمحيص الأسس النظرية للماركسة التي بعض مسلماتها اهتزازا رهيبا.[1]

4. خصائص مدرسة فرانكفورت وأهم أفكارها:

1.4 التشيؤ والإغتراب

تكاد مقولة «التشيؤ والاغتراب» أن تكون إطارا مرجعيّا لمعظم الأفكار التي يطرحها فلاسفة النظرة النقدية، ونواة مركزية يدور حولها الجانب الأكبر في مناقشاتهم وتحليلاتهم للمجتمع الرأسمالي والصناعي «العقلاني» الحديث، وتعبر هذه المقولة في أبسط أشكالها عن أن المجتمع والبشر ليسوا في واقع حياتهم ما يمكن أن يكونوه بحسب ماهيَّتِهم وإمكاناتهم؛ ذلك أنهم في الحقيقة مغتربون عن هذه الإمكانات وتلك الماهية ، فالمجتمع الصناعي المتقدم الذي ينصب عليه حديثهم عن هذه المقولة يكشف عن اغتراب الإنسان وتشيُّئه في ظواهر عديدة ومتنوعة. من هذه الظواهر أن الإنسان قد تحول في ظل علاقات العمل الصناعية والرأسمالية إلى مجرد عنصر أو جزء ضئيل من جهاز الإنتاج الهائل الذي تحدده **الأتمتة** والميكنة، وصار عجلة صغيرة مجهولة قابلة لأن يستبدل بها غيرها داخل العالم التقني الضخم الذي يصعب الإحاطة بشبكته المعقدة التي تحرك خيوطه.

2.4 العقل الأداتي والعقلانية النقدية

يَ قصد فلاسفة النظرية النقدية ب «**العقل الأداتي**» **أو** «**العقلانية التقنية**» نوعا من التفكر السائد في المجتمع الصناعي الحديث يطلقون عليه كذلك اسم العقل الذاتي والتِّقَني والشكلي، ويصفونه على لسان **ماركوز** في كتابه الشهري **بالتفكر ذي البعد الواحد** ويتَّضح هذا التفكر بأجلى صورة في أسلوب التفكر العلمي والتِّقَني، كما تعبر عنه الفلسفة الوضعية بأشكالها المعاصرة والفلسفة البراجماتية (العملية).

3.4 القمع والتسلط في المجتمعات الصناعية المتقدمة

وطبيعي أن يكون القمع والتسلط الذي يطبع المجتمع الصناعي المتقدم بطابعه من أهم المقولات التي تؤكدها النظرية ويرجع النقدية الفضل في ترويج هذه المقولة والإلحاح عليها ً عن عليها ل «هربرت ماركوز» الذي حاول أن يجد لها مبررا معقولا من كتابات «فرويد»فلسفة الحضارة، ومن فلسفة التحليل النفسي بوجه عام، فقد استند إلى زعم فرويد أن التطور الاجتماعي والحضاري الذي حققته البشرية لم يتّمِ إلا بالقمع المستمر ً للدوافع والحاجات الإنسانية الأولية، ويسري هذا القمع أو **الكبت** الضروري على تطور شخصية الفرد، إذ لا بدّ لكل إنسان أن يتعلَّم منذ طفولته كيف

[1] ماكس هوركهايمر: النظرية التقليدية، النظرية النقدية، ترجمة مصطفى الناوي، مصطفى خياطي، ط1، عيون علي ملا للنشر، 1990، ص 04.

يتحكم في دوافعه المتجهة بطبيعتها لإشباع حاجته إلى اللذة والسعادة إشباعا لا حد، لكي يَتَسنى له المحافظة ◌ً على بقائه والتعايش مع غيره.[1]

4.4 الطابع الثوري للنظرية:

إن أبرز خصائص انها نظرية ثورية، فهي تريد أن تكون بديلا عن النظرية التقليدية التي تقر الواقع القائم بحكم موقفها النظري وأسلوب تفكيرها، ولذلك يوجه أصحاب النظرية انتقاداتهم الحادة للاتجاهات الفلسفية الأخرى كالوضعية والبراغماتية ومناهج التفكير العلمي المتفق عليها، وأوضاع المجتمع الصناعي الذي يسلطون عليه النقد الجذري الشامل، وهو يعبرون من خلال هذا النقد عن متطلباتهم بتغيير هذا المجتمع من أساسه تغييرا ثوريا لا يقتصر على أشكاله وتنظيماته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بل يمتد إلى بنية التفكير والمواقف والحاجات التي يستخدمها الناس في ذلك المجتمع

5.4 أنماط المعرفة والمصالح الموجهة:

كما تعتبر هذه الخصائص المميزة للنظرية النقدية عن مقولة كثر الجدل حولها وتتعلق بالمصالح التي توجه المعرفة في عمليات البحث العلمي، ويرجع الفضل في بيان هذه المقولة إلى هابرماس ويحدد في إطارها ثلاثة أنماط من العلوم وبالأحرى من أساليب التفكير العلمي في العلوم التجريبية والتحليلية والعلوم التاريخية والتفسيرية وعلوم الفعل والسلوك والمنهجية. [2]

5. الانتقادات الموجهة للنظرية

الانتقادات الموجهة إلى مفكري مدرسة فرانكفورت اختلاف أرائهم من شخص إلى آخر، واختلاف توجهات مدرسة فرانكفورت لما بعد الحداثة عن مدرسة فرانكفورت في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، كما استبعدت المدرسة اهتمامها بالتاريخ والاقتصادي إلى حد كبير، وانحرفت انحرافا كبيرا عن مبادئ الماركسية الكلاسيكية كما عند العاملة باعتباره طبقة ثورية سياسية فاعلة ومغيرة لذا وصفت مدرسة فرانكفورت بأنها: " ماركسية بدون بروليتاريا ". ومن هنا، " يبدو أن مفهوم مدرسة فرانكفورت عن تدهور، أو ثلاثي الطبقة العاملة كقوة سياسية، قدم أساسا على فكرة طوباوية وخيالية عن الثورة، التي هي بأية حال الطريق الوحيدة أو الأكثر ماركسية، لتصور عملية الثورة الاجتماعية. وربما يكون هذا المفهوم قائما أيضا على انعكاس الخبرة الاستثنائية الأمريكية، الناجمة عن غياب طبقة عاملة منظمة سياسيا في المجتمع الأمريكي، على فكرهم ولا سيما في حالة **ماركوز**، وفي هذا النطاق، يقول **توم بوتومور** في كتابه:

[1] عبد الغفار مكاوي: مرجع سابق الذكر، ص 21-23.

[2] إبراهيم يحياوي: مرجع سابق الذكر، ص 181.

" مدرسة فرانكفورت ": " وقد أخفقت مدرسة فرانكفورت في الالتزام بالطريقة القاطعة التي اقترحها هوركايمر للنظرية النقدية، حين ذكر أنها لا تمتلك المفاهيم والأدوات التصورية القادرة على سد الفجوة بين الحاضر والمستقبل"[1]

[1] بن عمروش فريدة: مرجع سابق الذكر، ص 49.